مع الطرف الآخر، حتى في اقسى واصعب الظروف. ولم يكلّفه هذا الامر عناءً كبيراً. فميخائيل صاحب تجربة في الحزب الشيوعي العراقي ويعرف الواقع العربي عن كثب. لذا، في محاولة منه للتخلص من تأثير صدمة الواقع الجديد («المعبراه» في رواية «متساوون، ومتساوون اكثر»)، رأى ان يدين الحركات الشيوعية كافة، وان يندّد بكل ما كان. ورأى ان لا امكان للقاء، حتى عبر الاحزاب التي تنادي بالمساواة والاخوّة.

ولكي يؤكد هذا الامر ويضرب الحركة الشيوعية العراقية كتب كل ما كتبه واسقط ما اسقطه على شخصياته العربية. فرمزي الشيوعي في رواية «حفنة من ضباب» لم يجيره احد من زملائه الشيوعيين العرب، بل اجاره يهود العراق، وساعدوه على الهرب الى ايران؛ بينما الشاعر فتحي، المقولب، وجد استجارة عند شولا حتى في وقت غياب زوجها في سيناء؛ وشوشانا تعاني بصمت من زواج فؤاد (في «إجارة»)؛ وعماليا تسيطر على اميل؛ بينما أليكس الطيب، والحنون، والرقيق، يموت في الحرب، تاركاً جنيناً في بطن هدى، دون ان نعرف كيف كان سيعامل هدى لو تزوجها واستمرت حياتهما سوية!

قدّم ميخائيل الينا، في رواياته كافة، عالماً منقسماً على ذاته، ومزدوجاً. ومع ان الازمة ليست ازمة افراد، او حزب يساري، او علاقات رومانسية، الّا ان ميخائيل أكد ذلك، ودفع أبطال رواياته الى معالجة هذا الواقع، مسقطاً عليه ما عاناه ميخائيل، ويعانيه، بسبب سياسة التمييز، حتى تجاهه، لكونه ابن طائفة شرقية.

جوهر الصراع الحقيقي ولبّه لم يفهمه ميخائيل، او تحاشى الاقتراب منه: الصراع العربي ـ الاسرائيلي هو الذي ترك آثاره في ابطاله وشوّه علاقاتهم، وليس فوارق الطوائف، او الحزب، او الفرد. هنالك سياسة تمييز واضحة تجاه العربي، نتيجة لكل الصراع القائم، الّا ان ميخائيل رأى ان اسهل الطرق لتصفية حساباته، ولتحقيق مصالحه الضيقة، هو ان يكتب بالعبرية، ثمّ ان يدين عالمه القديم، وان يؤكد افلاس اليسار. وبعيداً من الصراعات في داخل الحزب الشيوعي، كتب ميخائيل رواية «بوق في الوادي»، وهي رواية هشّة وغير مقنعة. والنتيجة: موت أليكس وبقاء هدى والجنين، كعلامة سؤال امام الواقع القاسي.

ان التوازيات والثنائيات التي حاول ميخائيل خلقها لم تنجح في عكس الواقع. ويبقى امر هامّ حاول الكاتب تأكيده، وهو ان ابطاله آمنوا بشيء وفعلوا شيئاً آخر؛ لذا، كتب كل ما كتبه لفضح الكذبة، متناسياً ان كذبة الاحتلال هي الكذبة الاساسية التي تترك أثرها في الافراد والعلاقات وتشوّه الحياة.

المراجع

سامي ميخائيل، «الانتقال من لغة الى اخرى»، **لقاء** (كفار سابا، تل ابيب)، العدد ٣، ربيع ١٩٨٦؛ و«نقوش عربية على جدار الصهيونية»، **المصدر نفسه**، العدد ٤/٥، شتاء ١٩٨٦؛ **ومتساوون ومتساوون اكثر**، تل ـ أبيب: هوتسآت بوستان، ١٩٧٤؛ **وعاصفة بين النخيل**، تل ـ ابيب: عام عوفيد، ١٩٧٥؛ **وحفنة من ضباب**، تل ـ ابيب: عام عوفيد، ١٩٧٧؛ **وبوق في الوادي**، تل ـ ابيب: عام عوفيد، ١٩٨٧.